

العنف المدرسي دراسة تحليلية في سياقاته المدرسية

د/ أحمد فريجة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة بسكرة

Résumé:

Le problème de la violence au milieu scolaire a suscité l'intérêt de plusieurs chercheurs ; soit dans le domaine de l'éducation, en psychologie ou en sociologie ; et cela depuis longtemps. Puisque ils ont essayé de l'étudier de plusieurs cotés.

En effet, les réparations de ce fléau sur l'école et son environnement direct restent délicates.

Cet article se propose de démontrer les importants facteurs de la violence scolaire selon une vision éducative analytique.

المخلص:

حظيت قضية العنف المدرسي باهتمامات الباحثين في التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع منذ فترة طويلة، وسعوا إلى دراسته من جوانب متعددة، نظرا لما ينجر عنه من أضرار ونتائج وخيمة تشكل خطرا على الوسط المدرسي ومن ورائه المجتمع ككل، لذا كان من الطبيعي أن يتصدر هذا الموضوع اهتمام المختصين.

ويهدف هذا المقال رصد أهم العوامل المفضية إلى بروز ظاهرة العنف المدرسي وفق رؤية تتبنى موقفا تربويا تحليليا مداره الأساسي مجال يرى فيه بأنه نتاج لمتغيرات مدرسية.

مقدمة:

إن العنف المدرسي يعد معضلة من بين المعضلات التي تواجهها المؤسسات التربوية كما يشكل عاملاً ضاعطاً على عملية سيرها السوي وكذا يؤثر على التصدع في العلاقات بين أطراف المجموعة المدرسية هذا التصدع الذي أنتج وضعاً اغترابياً ساهم في إحداث الانفصال بينها قيمياً و معيارياً و معرفياً. لذا فإن ترك هذا الوضع المعتل دون معالجة سيؤدي إلى اتساع نطاق العنف يوماً بعد يوم مما يهيئ لبروز استجابات سلوكية عنيفة بين أطراف تلك المجموعة خاصة التلاميذ الأمر الذي قد يهدد أمن واستقرار الفضاءات التربوية ومن ورائها المجتمع ككل وتتجسد تلك الاستجابات في صور العنف المختلفة والتي نسعى من خلال هذا المقال إلى الوقوف على العوامل المدرسية التي تساعد في تفسيرها منطلقين من التساؤل التالي :

هل للبيئة المدرسية علاقة بالعنف المدرسي؟

و الذي يتفرع عنه التساؤلات الآتية:

- 1- هل توجد علاقة بين نمط قيادة الإدارة التربوية و ممارسة العنف داخل الوسط المدرسي ؟
- 2- هل توجد علاقة بين الطرق المعتمدة من قبل المعلم أثناء الأداء و ممارسة العنف داخل الوسط المدرسي ؟
- 3- هل توجد علاقة بين محتويات المنهاج الدراسي وممارسة العنف داخل الوسط المدرسي؟
- 4- هل توجد علاقة بين أساليب التقويم و ممارسة العنف داخل الوسط المدرس إن الإجابة على هذه التساؤلات هو الذي سيكون محور هذا المقال.

أولاً/ مفهوم العنف.

من بين المفاهيم المستهدفة بالضبط والتحديد في هذا المقال مفهوم العنف والذي تمّ تعريفه من وجوه عدّة منها:

1- التعريف اللغوي للعنف:

كلمة عنف في اللغة العربية: من الجذر (ع . ن . ف) و هو الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق⁽ⁱ⁾ بينما جاء تعريف العنف في مجمع الطريحي بأنه " الشدة والمشقة، ضد الرفق " ⁽ⁱⁱ⁾ ويعرفه أبو هلال العسكري بأنه " التشديد في التوصل إلى المطلوب"⁽ⁱⁱⁱ⁾ في حين يعرفه جميل صليبا بأنه "كل فعل شاذ يخالف طبيعة الشيء، والعنيف هو الذي لا يعامل غيره بالرفق، و لا تعرف الرحمة سبيلا إلى قلبه " ^(iv).
بينما يرى محمد قلعجي أن العنف هو "معالجة الأمور بالشدة والغلظة " ^(v) وعرفه المعجم الوسيط بالقول " العنف: عنف به وعليه - عنفا - وعنافة: أخذه بشدة وقوة ولألمه وعيره فهو عنيف. أعنفه: عنف به وعليه عنفه: أعنفه: اعتنف الأمر أي أخذه بعنف وأتاه ولم يكن له علم به، الشيء كرهه - يقال : اعتنف الطعام، و فلان المجلس: تحول عنه"^(vi).

يستنتج مما سبق أن كلمة عنف في اللغة العربية تشير إلى سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة و التوبيخ و اللوم و التقريع وفي سياق لغوي آخر لكنه يصب في المنحنى نفسه فإن كلمة عنف "violence" مشتقة من الكلمة اللاتينية "VIOLENTIA" والتي تعني إظهار غير مراقب للقوة ردا على استخدام معتمد للقوة ^(vii).
كما تعني كلمة "VIOLENCE" في اللغة الفرنسية الإفراط في استخدام القوة على ما هو مألوف اجتماعيا نضيف " فعل عنيف ، و مشاعر عنيفة ، فيلم عنيف ^(viii).

بينما يعرف قاموس اكسفورد Oxford العنف على أنه " ممارسة القوة لإنزال الضرر بالأشخاص والممتلكات، وكل فعل أو معاملة تتصف بهذا تعتبر عنفا، و كذلك المعاملة التي تميل إلى إحداث ضرر جسماني أو تتدخل في الحرية الشخصية ^(ix).
في حين يعرف لاروس Larousse العنف بأنه: "عبارة عن صفة تبرز أو تتكرر وتختلف معها العوامل بقوة حادة و قساوة معتبرة، هي في أكثر الأحيان ضارة و مهلكة و هو صفة لشعور رهيب نحو شيء، كالكراهة الرهيب أو صفة لشخص له استعداد تام لاستعمال القوة، ويتصف بالعدوانية، كما يدل العنف على صفة اللاتسامح وعدوانية كبرى، والاندفاع والقساوة في الكلام وحتى في التصرف، و يشير كذلك لمجموعة الأفعال

والتصرفات التي تتميز بالمبالغة في استعمال القوة العضلية و استعمال الأسلحة أو صفة لعلاقة عدوانية حادة ، و أخيرا صفة التعامل بالعنف كالإرغام و القهر عن طريق القوة (x).

يلاحظ أن الاستخدام اللغوي أو القاموسي لكلمة عنف قد لا تقدم تعريفات تلم بالنطاق الواسع للاستخدامات الحديثة للعنف والذي أصبح يشير إلى صور متعددة كالعنف الفردي والعنف الجماعي، أو قد يشير إلى أبعاد مختلفة تتراوح بين الهجوم المباشر والهجوم النفسي، كما قد يشير إلى الأشكال الظاهرية المكشوفة كالحروب ومظاهر الشغب والثورة والتمردّ والأشكال الخفية كتلك التي تمارسها الدولة والنظم السياسية المختلفة للحد من ممارسات الأفراد لحرّياتهم، ولعل التوسيع للظواهر وأشكال السلوك التي يمكن أن تتراوح تحت ما يسمى بالسلوك العنيف هي التي جعلت مفهوم العنف يتعدى تعريفه اللغوي والقاموسي بل هي التي جعلت تعريف العنف يتشعب ويجلب ضروبا من الخلاف، بالإضافة إلى ذلك فإن مثل هذه التعاريف تضع حدودا تضيق مدلول هذه الكلمة و تبعدها عن معناها المستمد من الطبيعة الإنسانية .

2- التعريف الاصطلاحي للعنف:

إن تناول مفهوم العنف في إطار مستنبتاته المعرفية التي يتداول فيها يجعلنا نقف على التعريفات الآتية:

أ/ التعريف النفسي للعنف:

يعرّفه جابر عبد الحميد جابر بأنه " العدائية والغضب الشديد المعبر عنها عن طريق القوة الجسيمة الموجهة نحو الأشخاص أو الممتلكات " (xi).

كما يعرف ماسلو العنف على أنه سلوك يلجأ إليه الإنسان لتحقيق حاجاته الأساسية نتيجة الإخفاق وال فشل في إشباع الحاجات الفسيولوجية وفي السياق ذاته يعرف العنف بأنه "استجابة في شكل عنيف تكون مشحونة بانفعالات الغضب والهيّاج والمعاداة، استجابة نتجت عن عملية إعاقة أو إحباط" (xii) .

في حين يعرفه عبد الرحمان عيسوي بأنه استجابة سلوكية تظهر في شكل من أشكال ممارسة القوة فوق إرادة الناس الآخرين. مما يثير لديهم الفرع و الرعب و الخوف النفسي. (xiii)

إضافة إلى ذلك يعبر العنف عن السلوك العدوانى في جزئه السلبى الذي " ينتج عن حالة إحباط تكون مصحوبة بعلامات التأثر والغضب ويظهر على شكل سلوكيات الغرض منها إلحاق الأذى والضرر بالآخرين سواء من الناحية المادية أو المعنوية وهو ذي طبيعة غريزية عاطفية (xiv).

ب/ التعريف الاجتماعي للعنف:

هو تعبير صارم عن القوة التي تمارس لإجبار الفرد أو الجماعة على القيام بعمل من الأعمال المحددة يريدها الفرد أو جماعة أخرى بحيث يعبر العنف عن القوة الظاهرة التي تتخذ أسلوبا فيزيقيا كالضرب أو تأخذ شكل الضغط الاجتماعى وتعتمد مشروعيتها على اعتراف المجتمع به (xv).

وفي نفس الاتجاه يعرف العنف بأنه "لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين حيث يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادية، و حين تترسخ الفئاعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمه" (xvi).

كما يعرف العنف اجتماعيا بأنه "كل فعل مادي أو معنوي يتم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، يستهدف إيقاع الأذى البدني أو النفسي أو كليهما بالفرد (الذات و الآخر) أو الجماعة أو المجتمع بما يشمله من مؤسسات مختلفة، ويتخذ العنف أساليب عديدة ومتنوعة معنوية كانت مثل التهديد والترويج والنبد، أو مادية مثل التشاجر والاعتداء على الأشخاص و الممتلكات و الانتهاك الجسدي، أو معنوية جسدية في آن واحد" (xvii).

ج/ التعريف القانوني للعنف :

يعرفه أحمد زكي بدوي العنف: هو "الإكراه أو استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع، أو غير مطابق للقانون، من شأنه التأثير على إرادة الفرد أو مجموعة من الأفراد" (xviii). وفي موقع آخر لكنه يصب في نفس المنحى يعرف العنف على

أنه: "القوة المادية و استعمالها بغير حق، ويشير المعنى إلى كل ما هو شاذ وغير عادي" (xix).

كما يعرفه أحمد جلال عز الدين في كتابه الإرهاب والعنف السياسي بأنه "الاستخدام الإنساني للقوة بغرض إرغام الغير وإخافته و إرغابه، أو الموجه إلى الأشياء قصد تدميرها أو إفسادها أو الاستيلاء عليها، ذلك الاستخدام الذي يكون دائما غير مشروع، و يشكل في الأصل جريمة" (xx). بينما اعتبره آخرون بأنه:

- استخدام القوة ضد النظام أو القانون ففي القانون المدني، يعتبر سببا لفسخ العقود، ويحدد على النحو التالي: يكون العنف من طبيعة ممارسة الضغط على شخص عاقل وما يمكن أن يوحى بالإكراه مما يعرض شخصه أو ثروته لشر كبير و حالي (xxi).

د/ التعريف السياسي للعنف: يعرف العنف في هذا المجال على أنه: "مجموعة من الاختلالات والتناقضات الكامنة في الهياكل الاقتصادية والسياسية للمجتمع ويتخذ عدة أشكال منها غياب التكامل الوطني داخل المجتمع و سعي بعض الجماعات إلى الانفصال عن الدولة، وغياب العدالة الاجتماعية و حرمان قوى معينة داخل المجتمع من بعض الحقوق السياسية وعدم إشباع الحاجات الأساسية كالتعليم والصحة و المأكل لقطاعات عريضة من المواطنين" (xxii).

هـ/ التعريف الاقتصادي للعنف: "هو محصلة الفجوة غير المحتملة بين رضا الناس لحاجاتهم المتوقعة و بين رضاهم لحاجاتهم الفعلية أو بمعنى آخر هو الفرق بين الواقع و المتوقع في الناحية الاقتصادية" (xxiii).

و/ التعريف الإعلامي للعنف: "أي تهديد واضح باستخدام القوة الجسدية ، أو الاستخدام الفعلي لهذه القوة بهدف إحداث أذى بدني لشخص أو مجموعة من الأشخاص، كما يشمل العنف بعض المشاهد التي تصور نتائج ذلك الأذى جسديا على شخص أو مجموعة من الأشخاص، والتي يحدث كنتيجة لوسائل عنف قد تكون غير معروضة على الشاشة" (xxiv).

ز/ التعريف البيولوجي للعنف: "هو وجود إصابات في الدماغ أو إصابات أثناء الولادة لدى المرضى الذين يعانون من نوبات العنف الانفجاري الهجومي أو التدميري" (xxv).

وفي تعريف شامل للعنف يشير "ويكمان" أنه "سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر من طرف قد يكون فردا أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال إخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى" (xxvi).

يتضح من التعريفات السابقة أن ظاهرة العنف من الظواهر المتأصلة في الطبيعة الإنسانية والتي رافقته عبر مساره التاريخي والحضاري، كما ارتبط وما يزال يرتبط بالظروف الاجتماعية التي يوفرها الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، الذي يؤثر ويتأثر به، إلا أن مظاهره وأشكاله تطورت، و تنوعت بأنواع عدة و التي منها: العنف المدرسي.

ثانيا/ العنف المدرسي والعوامل الداخلية المؤدية له.

يعد العنف المدرسي أحد التجليات العاكسة للعنف في سياقه العام، حيث يتخذ هذا السلوك المعتل من البيئة المدرسية فضاء له.

وقد تعددت التعريفات التي استهدفت العنف المدرسي بالضبط والتحديد ونحاول تقديم بعضها قصد تقريب معناه وفهم دلالاته وأبعاده، كما سنقتصر على عرض أهم أنواعه وطرق أهم العوامل الداخلية المرتبطة مباشرة بالوسط التعليمي وذات العلاقة بظاهرة العنف المدرسي.

1- تعريف العنف المدرسي:

يرى عدنان كفي "أن المقصود بالعنف في المدارس ما يجري في بعضها من ممارسات سلوكية يكون أبطالها الطلاب والطالبات والمعلمون والمعلمات، شرارتها الغضب، ووقودها تزايد الانفعال ونتيجتها استخدام اللطم والركل والضرب باللكمات والآلات الحادة وأحيانا بالسلاح وبالتالي فإنها تشكل خطرا على حياة هذه الفئة من الناس، وتعتبر ظاهرة وليست مشكلة يتأذى منها الشعور الجمعي، و لكن مع الأيام تتطور المسألة وربما أصبحت في إطار المشكلات المستعصية الحل". (xxvii).

كما يعرف العنف المدرسي بأنه: "السلوك العدواني الذي يصدر من بعض الطلاب والذي ينطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير، والموجه ضد المجتمع

المدرسي، بما يشمل عليه من معلمين وإداريين و طلاب وأجهزة وأثاث وقواعد و تقاليد مدرسية، و الذي ينجم عنه ضرر معنوي أو مادي^(xxviii).

وفي موقع آخر يعرف العنف المدرسي بأنه " الطاقة التي تتجمع داخل الإنسان ولا تنطلق إلا بتأثير المثيرات الخارجية، وهي مثيرات العنف، و تظهر هذه الطاقة على هيئة سلوك يتضمن أشكالاً من التخريب والسب والضرب بين تلميذ وتلميذ ومدرّس " ^(xxix).

استنتجا لما سبق نفهم أن العنف المدرسي هو ذلك السلوك الذي يتسم بالقوة والأذى اتجاه أحد أطراف المجموعة المدرسية، و ينعت بالعنف المدرسي كونه يتخذ من المحيط المدرسي مجالاً له.

2- أنواع العنف المدرسي:

قسّم العنف المدرسي إلى أنواع عديدة نوجزها في الآتي :

2-1/ عنف خارج المدرسة: و ينقسم بدوره إلى قسمين:

أ - عنف من قبل جماعة الأشرار، وهو العنف القادم من خارج المدرسة إلى داخلها يتم على أيدي مجموعة من البالغين ليسوا تلاميذ ولا أوليائهم، حيث يأتون في ساعات الدراسة وفي ساعات الحصص المسائية من أجل الإزعاج أو التخريب وأحياناً يسيطرون على سير الدروس.

ب - عنف من قبل أولياء التلاميذ، و هو عنف إما يحدث بشكل فردي أو جماعي وعادة ما يحدث ذلك عند مجيء الأولياء دفاعاً عن أبنائهم فيقومون بالاعتداء على نظام المدرسة و الإدارة و المعلمين مستخدمين مختلف أشكال العنف.

2-2/ عنف من داخل المدرسة: ينقسم بدوره إلى أربعة أنواع:

أ - عنف بين التلاميذ أنفسهم.

ب - عنف بين المعلمين أنفسهم.

ج - عنف بين المعلمين و التلاميذ.

د - التخريب المتعمد للممتلكات المدرسية. ^(xxx)

3- العوامل الداخلية المؤدية إلى العنف المدرسي:

يقصد بالعوامل الداخلية جملة المتغيرات التربوية والمرتبطة مباشرة بالوسط المدرسي والمحددة في: الإدارة المدرسية، المعلم، المنهاج، أساليب التقويم وسنتناول بالتحليل كل عامل على حدة وفق التدرج الآتي:

3-1/ الإدارة المدرسية:

إن التسيير الأمثل للوسط المدرسي يقتضي وجود تأطير إداري كفاء يكون قادرا على توجيه النشاط التعليمي في الاتجاه الذي يحقق الأهداف التربوية المنتظرة والتي منها تكوين التلميذ ليكون عنصرا إيجابيا وفعّالا في مجتمعه، وفي غياب ذلك تصيح الإدارة المدرسية أحد العوامل المحرصة للتلميذ على ممارسة العنف والذي نقف عليه من خلال ما يلي:

إن أبرز ما يتضح في إخفاق الإدارة المدرسية هو طغيان السلطوية على بعض جوانبها التربوية والإنسانية، وإهمال احتياجات الآخرين، والبعد عن المرونة، مما يجعل التلميذ أقل انتماء لها، وأكثر استعدادا لتغييرها بمدرسة أخرى عند أول فرصة تتوفر لديه. (xxxii)

كما قد تدفع الإدارة المدرسية التلاميذ إلى ممارسة العنف وذلك عندما تعجز عن إقامة النظام والمحافظة عليه وعدم الحسم في السلوك الطائش، مهما كانت مكانة القائم به، وعدم الحرص على تساوي التلاميذ اتجاه نظام المدرسة، أو التسبب في متابعة سلوكيات التلاميذ اليومية داخل المحيط المدرسي فهناك حالات أين يتعاطى التلاميذ المخدرات داخل الحرم المدرسي أو التدخين، أو ممارسة الأفعال المخلة بالحياء على مرأى ومسمع الإدارة دون أن تحرك هذه الأخيرة ساكنا.

كما قد يؤدي عدم اتخاذ الإدارة للإجراءات التأديبية الرادعة ضد التلاميذ الذين يقترفون أعمالا عدوانية والتي تظهر على شكل اعتداء على المدرسين أو إثارة الشغب أو تدمير التجهيزات المدرسية. (xxxiii)

من هنا يمكننا القول أن اللامبالاة الإدارية قد توفر المناخ الملائم لتنامي ظاهرة العنف داخل الوسط المدرسي.

وفوق ذلك فإن عدم قدرة الإدارة المدرسية على التكفل بمشكلات التلميذ السلوكية وعجزها عن مساعدته في مواجهة بعض القوى والظروف القاسية التي يمر بها والتي يعاني منها قد يدفعه إلى التماس بعض البدائل السلوكية العنيفة للتعبير عن معاناته وإقصائه المدرسي. (xxxiii)

كما أن عجز الإدارة المدرسية عن التعامل مع بعض التلاميذ الذين يفتقرون إلى الاستعداد الكافي لقبول فكرة التعلم واستيعاب المادة الدراسية عندها تنقلب عملية التعلم ذاتها إلى إجراءات تسلطية وممارسات قهرية تجري من جانب واحد دون استجابة الطرف الآخر، ومثل هذا الأمر لا شك أنه أيضا يضاعف من شعور التلميذ بالرفض والتمرد على كل من حوله والثورة المتواصلة على كل ما يصدر من المدرسة من أنظمة وتعليمات وقواعد. (xxxiv)

وتدعيما لما سبق أكدت نتائج العديد من الدراسات في هذا المجال أن الإدارة المدرسية إذا فرضت أسلوبا صارما لا يتفق والحد الطبيعي للأمر قد يؤدي بالتلاميذ إلى النفور من الدراسة والتفكير في مغادرة المدرسة نهائيا ففي مثل هذا الجو يصاب التلميذ بالإخفاق والقلق والقصور، والنزوع إلى بعض الأعمال غير الاجتماعية لإثبات ذاته والتعويض عن قصوره. (xxxv)

هذا وقد يكون من المتوقع أن يتجه عمل معظم المديرين باتجاه مساعدة التلاميذ والمعلمين على تحسين عملية التعليم بأبعادها المتنوعة، إلا أن هذا قد يظل توقعا مثاليا بالنظر إلى ضعف القدرات الإدارية لدى معظم مديري المدارس، والذي يتجلى في عدم توفير الجو المؤدي لسلوك تربوي سوي، جراء النزعة التسلطية في الأساليب الإدارية والتي تنجم عنها، غياب التناغم بين التلميذ والمعلم والإدارة.

هذه السلطوية التي قد يمارسها المعلم اتجاه تلاميذه تكون دافعة لهم على ارتكاب العنف كما سنرى.

3-2/ المعلم:

رغم أن العلاقة بين المعلم والمتعلم لا بد منها في أي درس أريد له أن ينجح ويحقق الأغراض التربوية المتوخاة منه، إلا أنه في حالة اختلال هاته العلاقة والتي يمكن رصدها عن طريق المؤشرات التالية:

- جو صفي مشوب برودود أفعال تفتقد إلى الاحترام.

- التوجس والريبة - انعدام الثقة.

- قيام الدرس من طرف واحد (المعلم) ...إلخ.

هذه المؤشرات وغيرها قد تكون أحد مستنبطات السلوك العنيف الذي يعتمده المعلم في أدائه، حيث كشفت الدراسات التي تناولت أداء المعلم بالدراسة والمعالجة في الوطن العربي ميل هذا الأخير إلى التسلط في تعامله مع تلاميذه والتي تتجلى في أنه:

- يغضب من اختلاف الآراء.

- لا يعطى إلا هامش قليل للمناقشة.

- لا يسمح للتلاميذ بالمشاركة في بناء الدرس.

- له ميل إيجابي نحو استخدام العنف اتجاه تلاميذه. (xxxvi)

إن العلاقة التعليمية -لكي لا نقول التربوية- المنسلطة تولد في غالب الأحيان عنفا وتمردا. وما يعزز هاته القناعة التربوية ما بينته الدراسات ذات الصلة والتي جاءت نتائجها على النحو الآتي:

- يكتسب تلاميذ المعلمين المتسلطين العنيفين سلوكيات مثل التمرد والعداء والمقاومة.

- إن إجبار التلاميذ على الامتثال للأوامر -داخل الصف- عن طريق الأساليب التسلطية العنيفة، يشجعهم على إحداث الفوضى والتحدي العلني والمعارضة المباشرة.

- ضعف إشباع حاجات المتعلم (المعرفة) قد يؤدي إلى الإحباط الذي قد يحدث بدوره عدوانا يكون المعلم العنيف هدفه الأول. (xxxvii)

وبناءً على ذلك أنه لا يمكن أن نسقط مسؤولية المعلم في دفعه للتلاميذ على اقتراف العنف داخل المدرسة وذلك من خلال الدور الذي يقوم به كمربي ومتقّف، و في هذا

الصدد هناك مجموعة من السلوكيات يقوم بها المدرس تثير حفيظة التلاميذ وقد تدفع بهم إلى ارتكاب أعمال عدوانية كإهماله لبعض التلاميذ في القسم (التمييز في المعاملة) أو احتقارهم والحط من قيمتهم أمام زملائهم أو معاملتهم معاملة قاسية، أو التثبيط من عزائمهم، هذا السلوك يثير الحقد لديهم وينمي روح الانتقام التي قد تظهر في صورة تدمير للتجهيزات المدرسية، أو الكتابة الحاملة للعبارات البذيئة، أو السرقة أو الخصام والشجار مع المدرس أو مع التلاميذ. (xxxviii)

ترتبط على ذلك فإن سوء العلاقة بين التلميذ والمعلم والنتيجة أصلاً عن فشل هذا الأخير وعدم أهليته وجهله بأساليب التربية الحديثة ولجوءه للضرب والشتم والإهانة مما يؤدي للإكراه المعنوي للتلميذ الذي يلجأ تحت وطأة ذلك إلى إقرار العنف من خلال التمرد على نظام المدرسة. (xxxix) ومن بين الممارسات التي يقوم بها المعلم والتي تكون بدورها مستفزة للتلاميذ ومحرضة لهم على القيام بالسلوكيات العنيفة داخل البيئة المدرسية التلقين والذي غالباً ما يرتبط بغياب أهمية الإقناع والتعزيز والتركيز على العنف ومنه العقاب بنوعيه المادي والمعنوي، وإن كان يعتقد أن التلقين طريقة اقتصادية وفعالة حيث لا تنجح طرائق أخرى.

إلا أن التلقين كثيراً ما يمارس من خلال علاقة سلطوية: سلطة المعلم لا تناقش حتى أخطاؤه لا يسمح بإثارتها وليس من الوارد الاعتراف بها بينما على التلميذ أن يطيع ويمتثل.

إن التلقين طريقة تدريس قد تعمق التسلط وتغرس الاستبداد ويستخدمها بعض المعلمين كسوط مسلط على رقاب أبنائنا. (xi)

كما قد تسهم بعض ممارسات أعضاء الهيئة التعليمية الخاطئة في اضطراب العلاقة القائمة بين التلميذ ومدرسته الأمر الذي يعرقل تكيفه المطلوب مع محيطها كما يضاعف عجزه في قبول المادة الدراسية ذاتها وذلك برفض مصدرها ألا وهو المعلم. في هذا المجال أظهرت الدراسات النفسية التي استهدفت المجال التربوي أن شخصية المعلم العدوانية أو إتباعه أسلوب الاستظهار العدوان بطبع شخصية التلميذ بطابع القلق الدائم ويؤثر سلوكه ويحوّله إلى نزوع عدواني واضح.

كما بينت نتائج تلك الدراسات فشل تجربة العقاب في تقويم سلوك التلميذ حيث زرعت بدلا من الانصياع والطاعة توترا زاد من ميل التلميذ إلى العدوانية والإخلال في تكوين عناصر شخصيته إخلالا واضحا.^(xii)

فسوء معاملة المدرسين وقسوتهم قد يجعل من المدرسة مثيرا شرطيا للألم والعقاب وقد يجد التلميذ في ممارسة العنف الوسيلة المناسبة لخفض التوتر والقلق.

3-3/ المنهاج الدراسي:

تعتبر المناهج الدراسية مصدرا خصباً من مصادر العنف المعنوي، كيف لا وما يحدث في أغلب الأحيان هو الاكتفاء بترجمتها بعد استيرادها ثم فرضها بطريقة تعسفية على الطلاب، ونتيجة لذلك فإن معظم محتويات تلك المناهج لا تلبي احتياجات المتعلمين ولا تلائم استعداداتهم وقابليتهم.^(xiii)

كيفية لهذه المناهج أن لا تفرز احتقان الطلاب وتذمرهم؟ كما أن ما لا يجب إغفاله هو أن هذه المناهج تفرض كذلك على المدرسين بعض مما يحملونه من قناعات واعتقادات وتحفظات، الأمر الذي قد يقلل حماسهم ويضعف رضاهم عن مهنتهم، ولما لا قد يصبح العنف بالنسبة إليهم هو الحل البديل؟

كما قد تشعر مواد الدراسة التلميذ بأنه ضعيف وبالتالي قد يبتابه الشعور بالنقص والعجز في مسابرة زملائه وقد يقوده ذلك إلى الفشل في التكيف ضمن هذا الوسط مما يدفعه إلى ممارسة العنف.^(xiii)

وقد تسهم بعض المناهج الدراسية ذاتها في تخلف التلميذ من الناحية الدراسية وبشكل يكرس شعوره بالفشل المتواصل والإحباط الشديد الذي يفقده الباعث المشجع لاستمرار تعليمه. وقد يتبلور مثل هذا الفشل أحيانا بصورة تمرد ضد السلطة المدرسية بكل أشكالها وفقدانه الثقة بنفسه وانعدام روح المبادرة لديه وبالتالي وصم نفسه بوصمة الفاشل الذي لا يرجى منه شيئا أو شخص تافه غير مرغوب فيه، مما قد يدفعه إلى ممارسة العنف كتعبير مرّضي عن وجوده.

وفي نفس السياق قد يؤدي إرغام التلميذ على تعلم بعض المواد التي لا يرغب في تعلمها أحيانا، وبدون أن تسلك المدرسة بما يزرع لديه بعض البواعث الإيجابية على

قبول مثل هذه المواد إلى كراهيته الشديدة للمعلم وللعملية التعليمية برمتها، الأمر الذي يكرس لديه عدم التوافق مع المدرسة أو عدم انسجامه مع شروطها ومتطلباتها وقد يبدأ باتخاذ بعض البدائل الشخصية الدفاعية للخروج من وصمة العجز التي ألصقت به وذلك بقيامه بالعنف بهدف إظهار شعوره بالرفض أو التمرد، كتحديه لأنظمة المدرسة ورفض الانصياع لتعليماتها.

من جهة أخرى قد يؤدي عقم المناهج الدراسية من حيث محتواها إلى قناعة التلميذ بعدم فائدتها حيث لا يجد لها معنى مقبولاً لديه ولا رابطة تربطها برغباته وحاجاته وطموحاته -ضحية سوء توجيه- فهو يشعر بأنه مواد تافهة لا معنى لها لديه وبالتالي لا يهتم بها، ولا يجهد نفسه أو عقله لاستيعابها. وهذا بالذات يكرس فشله الدراسي.^(xlv) لذلك يسعى إلى ارتكاب الأعمال العنيفة تعبيراً منه عن شعوره بالإحباط والإخفاق.

ومن الأمور التي ترتبط بعدوانية الطفل، علاقة طبيعة المناهج بسلوكه ومستقبله، صحيح أننا بحاجة إلى ذكر البطولة في تاريخنا والبطولة جزء من تاريخ الأمة وأحد مؤشرات عطائها، إلا أننا يجب أن نكون حذرين من التعامل عند الكتابة في هذه المواضيع.

إن حصر البطولة على المعارك والدماء ولغة العنف والرماح يجر مخيلة التلميذ إلى الاكتناز بذكريات القوة واستعراض العضلات فباطلاق تسمية الفارس على عنتره والبطل على خالد بن الوليد والفتاح على عقبة بن نافع، كل هذا يحشر في ذهن اليافعة احتكار تاريخ البطولة في الجانب العسكري لا غير، بينما لو وسعنا هذه الألفاظ لتشمل شخصيات أخرى في مجالات العلوم والأدب والفن، لتوسعت مداركه بشكل يقلل النزوع للعدوان السلوكي، بشكل يوزع تاريخ البطولة على المجالات كافة.

فالبطل يمكن أن يكون محارباً أو كيميائياً أو معلماً أو طبيباً أو فلاحاً. فعندما تكون البطولة موزعة على التاريخ التربوي يترتب عنها توزع صورة السلوك الإنساني في مخيلة الطفل، وعندئذ يكون صحيحاً أن نحمل الفرد على ضرورة التوجه إلى علوم المعرفة ليكون بطلاً مما سيكون له أثر واضح في تعديل أثر البيئة (التعليم) في السلوك العدواني والعنيف للفرد.^(xlv)

3-4/ أساليب التقويم:

من بين العوامل التي لها دورها الحاسم في تفشي ظاهرة العنف في المدارس أساليب التقويم التي يفترض فيها بحسب التربويين لكي توتي أكلها ينبغي أن نقوم بها عند بداية العملية التعليمية وفي أثنائها وعند نهايتها، مع ضرورة اتصاف أدواتها بجملة من المعايير البيداغوجية كالصدق والثبات والموضوعية والتمييز. لكن ما يحدث في معظم مدارسنا إن لم يكن جميعها، إن عملية التقويم تهتم في المقام الأول بمجال التحصيل المعرفي للتلميذ عن طريق استخدام الأسئلة المباشرة التي تستفز الذاكرة في قدرتها على الاسترجاع دون غيرها من القدرات الذهنية كالقدرة على التحليل والتركيب والموازنة والنقد... إلخ لكي يعتمد عليها في تقرير مصير التلميذ الدراسي وعليه إن الاعتماد على الامتحان فقط كأسلوب للتقويم بحيث يصبح الرسوب فيه يمثل صورة مؤلمة للتلميذ والذي قد ينتج عنه قيامه بأعمال عنيفة تطل كل أطراف المجموعة المدرسية.

إنه وأمام تقليدية الامتحانات التي تعد الكابوس الذي يلاحق التلميذ وتسبب له القلق وتدفعه إلى الاستهزاء واللامبالاة بالقيم الأخلاقية، ومن ثم يتجه إلى العنث والتصرف بعنف مع كل من يحاول ثنيه على ذلك.

كما أن الاقتصاد على الامتحانات بالصورة التي هي عليها الآن يجعل من عملية التقويم ناقصة ومثبطة وغير محفزة على العمل الجاد والنجاح وفق ما هو مفترض بيداغوجيا لأنه لا يراعي في صياغتها تحقيق جملة الأغراض التربوية المنتظرة منها.

وانطلاقا مما تقدم نستطيع القول كذلك بأن القرارات التي تتخذها مجالس الأقسام -المستندة أساسا على نتائج التقويم في صورته الجزئية - الامتحانات- بحق التلاميذ خاصة ما تعلق منهم الضعفاء في مجال التحصيل بمفهومه الضيق (الحفظ) والذين يعانون من مشاكل عائلية، هو شكل من أشكال العنف الموجه ضدهم. وتجاهل لعوامل عديدة لها تأثيرها المباشر على المردود التربوي للمتعلم والمعلم والمنهاج الدراسي والبيئة المدرسية والمجتمع الذي يعيش فيه. (xivi)

تأسيسا على ذلك فإن الامتحانات بكيفياتها الكلاسيكية ليس لها من أثر في تحسين المنهاج أو طرق التدريس، لأنها عملية ختامية تقيس الحاصل النهائي، وإذا كان الأمر

كذلك ينبغي أن لا تتفرد الامتحانات بصورتها تلك كوسيلة وحيدة للتقويم، بل ينبغي أن ترافقها أدوات تقويمية أخرى، لأن طبيعة العملية التربوية، وعمل التلميذ، أوسع مما تقيسه تلك الامتحانات، وتكون نتيجته ثوابا بالنجاح أو عقابا بالرسوب، وما يترتب عن هذا الأخير من مشكلات تربوية عديدة منها العنف المدرسي.^(xlvii)

الخاتمة:

يتبن من خلال الدراسة المكتبية التحليلية لهذا الموضوع أن بحث ظاهرة العنف المدرسي في سياق العوامل المدرسية لا يدفعنا إلى تجاهل بقية العوامل والتي هي بدورها ترتبط بالمجتمع في أبعاده الواقعية اجتماعية كانت أو نفسية أو اقتصادية، وقصد إضفاء الخاصية التكاملية للتحليل، يقتضي منا الأمر، أخذ تلك الأبعاد في منظور تحليلي تكاملي الطابع ينفذ إلى فهم الظاهرة مما يساعد على توصيفها وتقديم البدائل الكفيلة بمعالجتها. ومنه يتبين أن العنف المدرسي ظاهرة معقدة تتظافر عوامل متعددة في استنهاضها.

الهوامش

- (i) ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1992، ط2، ص429.
- (ii) فخر الدين الطريحي: مجمع البحرين، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، 1983، ج5، ط2، ص104.
- (iii) أبو هلال العسكري: كتاب الفروق، دار جروس برس، طرابلس الشرق، لبنان، 1994، ط1، ص241.
- (iv) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ج2، ص112.
- (v) محمد قلجعي: معجم لغة الفقهاء، دار الفقانس، بيروت، لبنان، 1988، ط2، ص323.

- (vi) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار العودة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ، تركيا ، 1989 ، ص631.
- (vii) Claudine Chaulet "une violence a part " in INSANIYAT, centre anthropologique sociale et culturelle N° 10 janvier – avril, Alger , 2000, vol IV, P57.
- (viii) Claudine Chaulet , Op.cit , P57.
- (ix) Ontons C.T : the Ox ford dictionary of English Ethmology. Oxford CLARENDON Press, 1996, p982.
- (x) Dictionnaire Encyclopédique Larousse, Librairie Larousse, Paris, 1985, Tome 10, P 107.
- (xi) جابر عبد الحميد جابر، علاء الدين كفاي: معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة العربية، القاهرة ، مصر، 1996، ج3، ص 138.
- (xii) مصطفى التير: العنف العائلي، مطابع أكاديمية، نايف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص 62.
- (xiii) عبد الرحمن عيسوي: سيكولوجية الجنوح ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان ، 1984 ، ص84.
- (xiv) عبد الكريم قريشي: عبد الفتاح أبي مولود، العنف في المؤسسات التربوية، مطبعة دار هومة ، الجزائر ، 2004 ، ص13.
- (xv) محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1996، ص118.
- (xvi) جليل وديع شكور: العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 1997، ط1، ص 31.
- (xvii) مها الكردي: (القنوات التليفزيونية الفضائية و تشكيل الاتجاه نحو العنف لدى الأطفال) المؤتمر السنوي الرابع، "الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف في المجتمع

- المصري" المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر، 2002، المجلد الأول، ص 179.
- (xviii) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1986، ص 112.
- (xix) مصطفى التير: مرجع سابق، ص ص 15، 16.
- (xx) أحمد جلال عز الدين: الإرهاب و العنف السياسي، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، 2002، ص 322.
- (xxi) محمد سعيد الخولي: العنف في مواقف الحياة اليومية: نطاقات وتفاعلات، دار مكتبة الإسرائ للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 2006، ص 60.
- (xxii) حسنين توفيق: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، سلسلة أطروحة الدكتوراه، مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1992، ص 400.
- (xxiii) منى يوسف: (نحو إستراتيجية لمواجهة العنف في المجتمع المصري)، المؤتمر السنوي الرابع، "الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف في المجتمع المصري"، المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية، المجلد الرابع، القاهرة، مصر، 2002، ص 1146
- (xxiv) آمال كمال: (الاتجاه نحو العنف لدى الأطفال)، المؤتمر السنوي الرابع "الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف في المجتمع المصري" المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الأول، القاهرة، مصر، 2002، ص 214.
- (xxv) منى يوسف: مرجع سابق، ص 1146.
- (xxvi) عبد الكريم قريشي، عبد الفتاح أبي مولود : مرجع سابق، ص 15.
- (xxvii) أميمة منير جادو: العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005، ص 06.
- (xxviii) محمود سعيد الخولي: مرجع سابق، ص 61.

- (xxix) مجدي أحمد محمود إبراهيم: "العوامل المجتمعية المؤدية للعنف في بعض مدارس القاهرة الكبرى"، مجلة الدراسات التربوية والاجتماعية، والرابع، مصر، 1996، العدد الثالث، المجلد الثاني، ص 82.
- (xxx) نادية مصطفى الزقاي، يوب مختار: "أسباب العنف المدرسي: أسباب تمايز أم أسباب تجانس"، مجلة العلوم الإنسانية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ديسمبر 2003، العدد 05، ص ص 56 ، 57.
- (xxxi) عبد العزيز بن عبد الله السنبل: التربية في الوطن العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2002، ط1، ص190.
- (xxxii) مصباح عامر: التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ط1، ص247.
- (xxxiii) عدنان الدوري: جناح الأحداث: الكتاب الأول المشكلة والسبب، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1985، ط1، ص265.
- (xxxiv) عدنان الدوري: مرجع سابق، ص265.
- (xxxv) علي محمد جعفر: الأحداث المنحرفون دراسة مقارنة: عوامل الانحراف، المسؤولية الجزائرية، التدابير، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1996، ط3، ص75.
- (xxxvi) نادية مصطفى الزقاي، يوب مختار، مرجع سابق، ص58.
- (xxxvii) نادية مصطفى الزقاي، يوب مختار، مرجع سابق، ص58.
- (xxxviii) مصباح عامر: مرجع سابق، ص247.
- (xxxix) المرجع نفسه، ص25.
- (xl) يزيد عيسى السورطي: "السلطوية في التربية العربية المظاهر والأسباب والنتائج"، المجلة التربوية، 1998، المجلد الثاني عشر، العدد 46، ص115.
- (xli) ريكان إبراهيم: النفس والعدوان: دراسة نفسية اجتماعية في ظاهرة العدوان البشري، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ط1، ص158.

- (xlii) عبد القادر يوسف: "أزمة التربية في الوطن العربي"، مجلة التربية، العراق، 1985، العدد 34، ص174.
- (xliii) المرجع نفسه، ص174.
- (xliv) عدنان الدوري: مرجع سابق، ص273.
- (xlv) ريكان إبراهيم: مرجع سابق، ص158، 158.
- (xlvi) عمر عبد الرحيم نصر الله: تدني مستوى التحصيل والإنجاز أسبابه وعلاجه، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2004، ص490.
- (xlvii) أمينة هاشم سراج: التسرب المدرسي بين تلاميذ المدارس، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2003، ص42.